تحديات المجتمع العربـــي

د. منصـــور رحماني

خلفيـات الدعـم الغـربي لليهـود

لا ينكر من يملك ولو قليلا من الاطلاع العلاقة العدائية التي ظلت تلازم اليهود والمسيحيين منذ مجيء المسيحية قبل أكثر من ألفي عام ، فكل فرقة منهما كانت تسيم الأخرى الخسف والنكال كلما توفرت لها أسباب القوة ، وتمكنت من وضع اليد عليها ، هذه العداوة دونها التاريخ وانتصرت لها النصوص المقدسة هنا ، وهناك ، ولكنّ المشاهَد اليوم يختلف عن ذلك نهائيا ، وخاصة عند المسيحيين الغربيين ، فالحكومات في البلاد المسيحية الغربية خصوصا في مواطن المسيحية البروتستانتية تدافع عن مصالح اليهود بل ربما أكثر من مصالحها ، وأصبح أمن دولة اليهود جزءا لا يتجزء من أمنها ، فما هو السر يا ترى ؟ وما مستقبل تلك العلاقة ؟ وما تأثيرها على البلاد العربية ؟

وضع المسيحية أيام القوة والنفوذ اليهودي:

تبدأ علاقة اليهود السيئة بالمسيحيين من وقت بداية الدعوة المسيحية على لسان النبي – عيسى عليه السلام– الذي أُرسل في الأصل من أجل اليهود، والإساءة اليهودية للمسيح بدأت منذ مولده حينما اتهموا أمه بالفاحشة لأنه مولود من أم دون أب، وازدادت العلاقة سوءا عندما عرفوا حقيقة دعوته التي جاءت مخيبة لآمالهم حيث كان يدعو إلى التأمل في النفس وحب الغير ، وإلى التواضع والإيمان العميق بالله ، بينما كانوا يترقبون دعوة إلى الصراع المسلح من أجل استرداد مجد إسرائيل .

فقد تعدى الرومان مدة تزيد عن جيل على الحرية اليهودية ، ولقد أدت الإجراءات القمعية التي مارسوها إلى إثارة الروح الوطنية ودفعها إلى حياة أشد شراسة .. تقول الموسوعة اليهودية : تاقوا إلى المحرر المنتظر من بيت داود الذي سيحررهم من نير حكم المغتصب البغيض وينهي الحكم الروماني اللاديني ، ويؤسس مكانه مملكة السلام والعدل .

لقد كان اليهودي يُلقَّنُ منذ صغره بأن المسيح سيكون عند مجيئه قائدا حاكما ، سياسيا منتصرا ، وأنه سيحرر اليهود من نير العبودية والاستعمار ، ويرد إسرائيل إلى مكانه الطبيعي اللائق به[1] .

وعلى العموم فقد أحسوا بأن المسيح لم يأت إليهم وحدهم ، فقد كانت دعوته للجميع ، ولا شك أن في ذلك إنقاصا من شعورهم بالتميز ، ولذلك ناصبوه العداء ، وهم الذين دبروا له ما وقع مع بيلاطس عند زيارته للقدس .

ولم يكن أتباع المسيح وتلاميذه أحسن حالا من المسيح ، فقد ذاقوا الأمَرَّين على أيدي اليهود ، وكان اليهود يُغرون الرومان بالمسيحيين ويدلونهم عليهم ، ويعرفونهم بهم أثناء متابعاتهم من أجل قتلهم والتنكيل بهم وصلبهم ، وقد اعترف حتى القديس بولس بذلك حيث يقول : ": سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية ، أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي (أعمال الرسل:23 :6)

ويقول عنه تلميذه المقرب منه لوقا في السفر ذاته : وكان شاول راضيا بقتل المسيحيين وكان يسطو على الكنيسة ، ويدخل البيوت ، ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن (7 :60) ، واستمر على هذا النحو من الاضطهاد فترة ليست بالقصيرة إلى أن وقعت المشاهدة التي ادعاها بطريق دمشق

لقد تآمر اليهود على المسيح الذي سفه بتعاليمه أحلامهم وشذ عن خططهم الجهنمية ، وأساليبهم الملتوية في الحياة، وقرر الكهنة اليهود إعدام الرسول الجديد فأشاروا على الحاكم الروماني بيلاطس البنطي أن ينفذ حكم الإعدام صلبا بهذا الذي يدعي النبوة ولا يعترف به اليهود ، وباع المسيح واحد من الحواريين عادت به يهوديته إلى طبيعتها الدنيئة الجشعة[2].

ولقد أصبحت المكايد اليهودية للمسيحيين سُنَّة متبعة سار عليها اليهود في الأجيال اللاحقة ، والأمثلة لما فعلوه أكثر من أن يحصيها كتاب، ففي سنة 155 م قتل الإمبراطور الروماني الكثير من اليهود الذين كانوا يسكنون روما ، بناء على إشارة من أحد الحاخامات الذي أسر إلى الملك بأن النصارى هم سبب وجود الأمراض المعدية ، وفي سنة 214 م قتل اليهود مائة ألف مسيحي في روما وكل نصارى قبرص ، وذلك في عهد الإمبراطور"مارك أوريل"[3].

---

[1] - جوش ماكدويل – نجار وأعظم – ترجمة سمير الشوملي – دار فيدا ص56 وما بعدها .
[2] - عبد الله التل – خطر اليهودية العالمية على اليهود والمسيحية – بغير ذكر الدار 1964 ص30
[3] - عبد الله التل – المرجع السابق – ص 32 .

اليهود والإيذاء المقدس

لم يكتف اليهود بالمعاملة السيئة التي كانوا يعاملون بها المسيحيين في حياة المسيح وبعده مع أتباعه وتلاميذه، بل عملوا على تقنين ذلك الأذى وإضفاء طابع القداسة عليه، حتى لا ينساه اليهود أبدا، وقد تأتّى لهم ذلك بالإضافات الّتي أضافوها إلى التلمود المقدس عندهم، وإذا لم نجد ذلك في ما قد يصل إلينا من النسخ التلموذية فذلك راجع إلى تعمد حذفها من تلك النسخ تقية.

حيث يلاحظ في بعض نسخ التلمود صفحات كثيرة متروكة بيضاء ، ودوائر هندسية، لا سيما في طبعاته في المائتي سنة الأخيرة، ولو رجعنا إلى الطبعات القديمة خاصة طبعة أمستردام لسنة 1645 لوجدناها شتائم ولعنات على السيد المسيح، وأمه مريم عليهما السلام ، والرسل الأطهار وهم يتناقلون المحذوف شفاها، حذرا مما يصيبهم كما أصابهم من اضطهاد وشدائد حين قرأها الأوروبيون، وعلموا عقيدة التلمود فيهم [4] .

ومن بين ما ورد في التلمود (**إن اليهودي الذي ينتابه شعور نبيل تجاه المسيح يفقد يهوديته**) ، وينص التلمود أن المسيحيين سيستأصلون عن وجه الأرض بعد حروب دامية ، لأنهم منحذرون من الشيطان ، لذلك فإن خيانتهم واجبة (**من يفعل خيرا للمسيحيين فلن يقوم من قبره قط ، لذا يجب السعي الدائم لقتل المسيحيين)**[5].

أما الكنائس النصرانية فهي بمستوى القاذورات ، وأن الواعظين فيها بنسبة الكلاب النابحة ... وإن من الواجب دينيا أن يلعن ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني، وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بني إسرائيل[6].

وعلى العموم فإنهم يرون ضرورة إفناء المسيحيين والامتناع عن نفعهم، وحتمية الإضرار بهم والامتناع عن امتداحهم، أو إهدائهم هبة أو بيع أرض أو مزرعة لهم. كما يجب الامتناع عن مساعدة مريض أو امرأة مسيحية عند مخاضها أو مسيحي يواجه الموت ، ويجب إلقاء المسيحيين في البئر .

أما الذي يؤدي إلى الإضرار باليهودي أو اضطهاده ، فهو الخائن ، يجب أن يموت أو تشويهه بقطع لسانه أو بفقء عينيه ، وأن المسيحي الذي يدرس قانون إسرائيل (التلمود) يستحق الموت، وكذا اليهودي الذي يتعمد (يتحول إلى المسيحية).

أما اليهودي الذي يقتل مسيحيا ، فلا يقترف إثما، بل يقدم إلى الله أضحية مقبولة ، وعمله مقبول عند الله ، كمن يقدم قربانا إليه ، بل إن الأضحية الوحيدة الضرورية ، بعد هدم الهيكل في القدس، هي إفناء المسيحيين ، وإن قتل المسيحي جزاؤه الجنة[7].

وليس غرضنا من إيراد هذه الإفادات إثارة العداوة بين المسيحيين واليهود ، إذ ليس هذا هو المجال الذي نبحث فيه ، وإنما الهدف هو بيان عنصرية هذه التعاليم ،

---

[4] - عابد توفيق الهاشمي ـ فضيحة التلمود ـ مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 2000 ص67
[5] - زهدي الفاتح – اليهود – الطبعة الأولى ، جنيف 1972 ص 167 .
[6] -روهلنج - إشيل لوزان- الكنز المرصود في قواعد التلمود- ص 11 .
[7] - الهاشمي – المرجع السابق – ص 72، 73

مما يبرهن على استحالة كونها من الوحي الإلهي ، لأن البشر عند الله سواء ولا فضل لجنس على جنس وإن اختلفت ألوانهم وأوطانهم ، وتخصيص اليهود بهذه المزايا يشير بوضوح إلى أن كاتب التلمود أو كاتبيه من اليهود المتعصبين ، الأنانيين البعيدين عن الروح الإنسانية العالية ، وحتى لو أثبت اليهود المعاصرون مخالفتهم لهذه التعاليم ، وأظهروا إنسانية عالية ، وتسامحا مع الآخرين ، فإن ذلك إن لم يدل على سياسة التقية التي أصبحوا يتبعونها للنجاة من سهام المخالفين، فإنها تدل على عدم اقتناع معاصريهم بتخاريف أجدادهم ، وفي جميع الأحوال، فإن هذه النصوص التلموذية موجودة وثابتة، وغريبة ولا يقبلها المنطق الذي نحتكم إليه، وليست من الوحي الإلهي ، وهي بذلك إحدى مشكلات الديانة اليهودية.

ولقد كان للمعاملة اليهودية القاسية أثرها في صياغة العقائد المسيحية ، حيث جاءت العقائد المسيحية في مجملها مناقضة لما عند اليهود ، فلما قال اليهود عن المسيح بأنه ساحر مجنون ممخرق ولد زانية قالوا : هو إله تام و هو ابن الله !! و رأوا اليهود يختتنون فتركوا الختان !! و رأوهم يبالغون في الطهارة فتركوها جملة !! و رأوهم يجتنبون مؤاكلة الحائض و ملامستها و مخالطتها جملة فجامعوها ! و رأوهم يحرمون الخنزير ، فأباحوه و جعلوه شعار دينهم ، و رأوهم يحرمون كثيرا من الذبائح و الحيوان فأباحوا ما دون الفيل إلى البعوضة و قالوا : كل ما شئت و دع ما شئت بلا حرج ، و رأوهم يستقبلون بيت المقدس في الصلاة فاستقبلوا هم الشرق ، و رأوهم يحرمون على الله نسخ شريعة شرعها فجوزوا هم لأساقفتهم و بتاركتهم أن ينسخوا ما شاؤا و يحللوا ما شاؤا و يحرموا ما شاؤا ، و رأوهم يحرمون السبت و يحفظونه فحرموا هم الأحد و أحلوا السبت مع إقرارهم بأن المسيح كان يعظم السبت و يحفظه ، و رأوهم ينفرون من الصليب ، فإن في التوراة " ملعون من تعلق بالصليب " و النصارى تقر بهذا ، فعبدوا هم الصليب ، كما أن في التوراة تحريم الخنزير نصا فتعبدوا هم بأكله ، و فيها الأمر بالختان فتعبدوا هم بتركه مع إقرار النصارى بأن المسيح قال لأصحابه : إنما جئتكم لأعمل بالتوراة و وصايا الأنبياء قبلي ، و ما جئت ناقضا بل متمما ، و لأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أنقض شيئا من شريعة موسى " فذهبت النصارى تنقضها شريعة شريعة في مكايدة اليهود ومغايظتهم[8]. ولم يكتف النصارى بمخالفة اليهود في عقائدهم بل عاملوهم بنفس المعاملة السيئة التي كانوا يعاملونهم بها ، عندما تمكنوا من وضع أيديهم عليهم خصوصا في أوربا أيام الحكم الكنسي ، كما سنرى لاحقا.

موقف المسيح من اليهود :

لم يكن المسيح مداهنا لليهود كما يفعل النصارى اليوم بل كان منكرا عليهم أشد الإنكار ما كانوا يفعلونه، فقد ورد في متى مانصه :" ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي

[8] - ابن قيم الجوزية – هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى – منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت 1980 - ص196 .

باعة الحمام ، وقال لهم : مكتوب بيتي بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص"(متى:21) ، وورد في الإصحاح ذاته:"قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم :إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله ، لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به ، وأما العشارون والزواني فآمنوا به"، وورد أيضا :" اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته لأني جعت فلم تطعموني ، عطشت فلم تسقوني ، كنت غريبا فلم تأووني ، عريانا فلم تكسوني ، مريضا ومحبوسا فلم تزوروني "(متى : 25)

وضع اليهود إبان الحكم المسيحي والكنسي :

لقد لاقى اليهود من المسيحيين أيام خضوعهم لسلطانهم ما لم يلاقوه مع أمة أخرى من الأمم التي خضعوا إليها ، ففي 30 مارس 1492 صدر أمر كنسي بأن كل يهودي لم يقبل المعمودية في أي سن كان وعلى أي حال كان ، يجب أن يترك بلاد اسبانيا قبل شهر يوليو (تموز) ومن رجع منهم إلى هذه البلاد عوقب بالقتل و أبيح لهم أن يبيعوا ما يملكون من عقار و منقول بشرط أن لا يأخذوا في الثمن ذهبا و لافضة ، و إنما يأخذون الأثمان عروضا و حوالات ، و من ذا الذي يشتري اليوم بثمن ما يأخذه بعد ثلاثة أشهر بلا ثمن ؟ (يعني أن أموال اليهود تكون مباحة بعد جلائهم الذي تم في يوليو) و صدر أمر (توركماندو) أن لا يساعدهم أحد من سكان اسبانيا في أمر من أمورهم . و هكذا خرج اليهود ، تاركين كل ما يملكون بأرواحهم على أنه لا نجاة لكثير منها ، فقد اغتالها الجوع و مشقة السفر مع العدم و الفقر[9] .

بداية التغيير وتخفيف الضغط عن اليهود

استمرت النظرة السوداوية للكنيسة إلى اليهود لعدة قرون ذاق فيها اليهود من المسيحيين أضعاف ما أذاقوه للمسيحيين ، ولكن الفرج قد جاء أخيرا من المسيحيين أنفسهم ، وقد كانت التحكمات البابوية في الدين وفي الاستئثار بفهم الكتاب المقدس سببا مباشرا في ذلك

لقد كانت البذرة الأولى في ذلك التغيير من مارثن لوثر Martin Luther وهو مصلح ديني مسيحي شهير، ومؤسس المذهب البروتستانتي المسيحي.ولد في إيسليبين في شمالي ألمانيا يوم 10 نوفمبر 1483، وتوفي في نفس البلدة في 18 فبراير 1546. كان أبوه عامل مناجم. وتعلم في مدارس مجدبورج وايزنآخ.

في سنة 1501 دخل جامعة ارفورت وحصل على الإجازة الجامعية في سنة 1505، ويقول عن نفسه أن قسوة أبويه عليه حملاه على دخول الدير الأوغسطيني في ارفورت سنة 1505. وفي سنة 1507 رسّم قسيساً، وفي سنة 1508 قام بتدريس الفلسفة في جامعة فتنبرج، وتولى شرح كتاب "الأخلاق إلى نيقوماخوس" لأرسطو. واستمر في ذلك عامي 1508 – 1509.

[9] - محمد عبده – الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1988 ص 32 .

في سنة 1511 سافر إلى روما، وهذه الرحلة هي التي غيرت مجرى حياته، ولما عاد منها بدء سيرته مصلحاً للدين المسيحي. وكان البابا في روما، في أشد الحاجة إلى المال، ولم يجد سبيلاً للحصول عليه إلا عن طريق إصدار وبيع صكوك الغفران، وكان يطلب إلى الناس شراؤها ليغفر الله ذنوب أقربائهم أو من يشاؤون ممن يعذبون في المطهر بسبب ما اقترفوه من ذنوب. وكان يشرف على هذه العملية راهب دومنيكي يدعى يوحنا تتسل وذلك في سنة 1516، فراح يروّج لها بطرق ظاهرة أثارت ثائرة مارتن لوثر، فأصدر لوثر بياناً يحتوي على 95 قضية ضد صكوك الغفران. ولصق البيان على باب كنيسة فتنبرج، في يوم 31 أكتوبر 1517 ، فسافر تتسل إلى فرانكفورت وأصدر من هناك بياناً فند فيه قضايا لوثر ال95 ،وقام بإحراق بيان لوثر علناً، فانتقم الطلاب في فتنبرج فأحرقوا بيان تتسل.

في سنة 1518 انضم ملانكتون إلى لوثر. وتدخل البابا ليو العاشر (Leo X) في النزاع فاستدعى لوثر إلى روما سنة 1518، لاستجوابه في أمر قضاياه تلك. فتدخلت الجامعة كما تدخل نائب سكسونيا، وأخفقت المفاوضات التي أجراها الكردينال كاجتان وملتتس [10].

لقد كانت أبرز النقاط التي هاجمها المصلحون البروتستانت في الكنيسة الكاثوليكية هي : صكوك الغفران، المطهر، الدينونة، شراكة مريم في الخلاص، شفاعة القديسين، معظم الأسرار الكنسية، وسلطة البابا.وكانت السلطات الكنسية تتحجج على كل ما تقوم به باستئثارها بقراءة وفهم الكتاب المقدس الذي لم يكن في متناول الجميع .

لقد كانت الحركة الجديدة تدعو إلى حق كل إنسان في أن يقرأ الكتاب المقدس مباشرة ويطبقه مباشرة، وترفض احتكار رجال الكهنوت لتعليم الدين وتفسيرالإنجيل، وقد تأثروا في ذلك بالمسلمين إبان الحروب الصليبية؛ إذ رأوا أن المسلمين يتعاملون مع كتاب اللّه مباشرة ، ولا يتوسط أحد بينهم وبين اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى , والذي حدث في أوروبا أنه بعد ظهور هذه العقيدة بدأ الناس يرجعون إلى الأصول التوراتية، وقام مارتن لوثر صاحب حركة البروتستانت بترجمة التوراة إلى اللغة الألمانية ، وكذلك الإنجليزية ، وقد انتشرت الحركة البروتستانتية أكثر ما انتشرت في ألمانيا وبريطانيا وآمن هؤلاء بحرفية الكتاب المقدس وعصمة التوراة وأن كل حرف في التوراة هو حق من عند اللّه وبدأوا يقرأون مثل نصوص الوعد لإبراهيم وليعقوب ، فآمنوا به وبضرورة تحقيقه، وأعرضوا عن تفسيرات البابا ورجاله للعلاقة مع اليهود[11] .

وردا على ما قامت به الكنيسة ضده من رمي بالهرطقة عمل لوثر على استمالة اليهود الذين كانوا يتمتعون بمراكز نفوذ في أوربا ، مفهما إياهم أن حركته من شأنها أن تعيد لليهود اعتبارهم ، وترفع الاضطهاد التي كان مسلطا عليهم من طرف

[10] - الموسوعة الحرة ويكيبيديا

[11]- www . alhawali . com

الكنيسة ، ولم يكن ذلك منه بمجرد الكلام ، وإنما قام بخطوات عملية جريئة في ذلك ، حيث أصدر لوثر كتابه "عيسى ولد يهودياً" سنة 1523 وقال فيه إن اليهود هم أبناء الله وإن المسيحيين هم الغرباء الذين عليهم أن يرضوا بأن يكونوا كالكلاب التي تأكل ما يسقط من فتات من مائدة الأسياد. ويرى الكثير من الكتاب والمؤرخين أن هذه الفترة تعد الولادة الحقيقية والفعلية للمسيحية اليهودية.

ووصلت محاولة استمالة "لوثر" لليهود من أجل الدخول في مذهبه حدا قال فيه يوما أمام عدد من اليهود الذين كانوا يناقشونه "إن البابوات والقسيسين وعلماء الدين –ذوي القلوب الفظة– تعاملوا مع اليهود بطريقة جعلت كل من يأمل أن يكون مسيحيا مخلصا يتحول إلى يهودي متطرف وأنا لو كنت يهوديا ورأيت كل هؤلاء الحمقى يقودون ويعلمون المسيحية فسأختار على البديهة أن أكون خنزيرا بدلا من أن أكون مسيحيا".

وتشير الكثير من المصادر التاريخية إلى أن رغبة مارتن لوثر الجامحة في إعادة الاعتبار لليهود و"تمسيحهم" كانت تعود لإيمانه العميق بضرورة وجودهم في هذا العالم تمهيدا لعودة المسيح[12].

وقد انكب المسيحيون البروتستانت على قراءة الأدبيات اليهودية وتسربت الروح العبرية اليهودية إلى الفنون والآداب فكان الفنانون يرسمون ويحفرون مناظر من الكتاب المقدس، وحلت قصص وتفسيرات العهد القديم محل المسرحيات التي كانت تمثل حياة القديسين، وأصبحت شخصيات العهد القديم كأبسالوم وإيستر ويوحنا وجوزيفوس وغيرهم تبدو على أنها شخصيات تحتذى في أخلاقها" . وهكذا تسربت الأدبيات اليهودية إلى صميم العقيدة والفكر المسيحي وكانت هذه الأدبيات
تدور حول أمور ثلاثة:

"**الأمر الأول:** هو أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم يكونون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم.

الأمر الثاني: هو أن ثمة ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة.

الأمر الثالث: هو ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيون، أي بإعادة وتجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم" .

وآمن النصارى البروتستانت أن مساعدة اليهود لتحقيق هذه الغاية – وقيام دولة صهيون– أمر يريده الله لأنه يعجل بمجيء المسيح الذي يحمل معه الخلاص والسلام، وساد الاعتقاد أن النصارى المخلصين سوف يعيشون مع المسيح في فلسطين ألف سنة في رغد وسلام قبل يوم القيامة طبقاً لبعض التفسيرات الحرفية لسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ، وهكذا ظهر اتجاه جديد في المسيحية يحيي الهالة التي

[12] - www.aljazeera.net

أضفتها التوراة على بني إسرائيل، ويوجب على المسيحيين التدخل البشري لتحقيق وعود يهودية واردة في التوراة ، كما قام هذا الاتجاه الهائل بدعم اليهود والدعوة إلى قيام كيان لهم في فلسطين، كما تزعم هذا الاتجاه حركة الدعوة لانبعاث اليهود وتسفيه التحقير المسيحي لليهودية والمطالبة بضرورة رفع الظلم والاضطهاد عن هذا الشعب المختار وفقاً للإيمان الحرفي بالكتاب المقدس. وقد وجد اليهود في هذه الفرصة من يناصرهم ويدعو إلى قضاياهم ويتحالف معهم بعد أن كانوا مضطهدين[13] .

لقد كان لحركة الإصلاح الديني "البروتستانتية" أثر كبير في إحداث تغيير في طبيعة العلاقة بين اليهود والنصارى، يتبين ذلك مما يلي:

أولاً: كان النصارى –جميعهم– قبل عصر الإصلاح الديني بقيادة البابا يعادون اليهود ويقودون حملات التطهير والإبادة ضدهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

ثانياً: "حافظت الكنيسة الكاثوليكية –إلى عهد قريب– على موقف ثابت من المسألة اليهودية يقوم على رفض التصالح مع اليهود إلا إذا اعترفوا بالمسيح واعتنقوا النصرانية"[14] .

ثالثاً: "لم يكن في الفكر الكاثوليكي التقليدي قبل عهد الإصلاح الديني أدنى مكان لاحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين ، أو لأية فكرة عن وجود الأمة اليهودية ، وكان القساوسة يرفضون التفسير الحرفي للتوراة ويفضلون تفسيرات لاهوتية أخرى وبخاصة المجازية التي أصبحت الأسلوب الرسمي للتفسير التوراتي"[15].

إن كل ما قام به لوثر تجاه اليهود لم يحقق له ما كان ينتظره منهم , ولذلك كتب في أخريات حياته كتاب "اليهود وأكاذيبهم" ، وإذا كان هناك من ينظر إلى إصلاحات لوثر بنظرة إيجابية بسبب العمل على تخليص المسيحية من كثير من الشوائب التي وضعتها الكنيسة ، وتحريره للفرد المسيحي من الهيمنة البابوية واستعمال الدين للأغراض الخاصة ، فإن هناك من يرى أن إصلاحاته لم تنفذ من القشور ، بل إنها كانت في صالح اليهود قبل المسيحيين ، بل إنها جلبت لأتباعه المزيد من الاضطهاد الذي اضطرهم إلى الهجرة إلى العالم الجديد (الولايات المتحدة) ، وقد سيطر على أولئك المهاجرين اتجاهان :هيمنة الاتجاه الأصولي على البروتستانتية

و سيطرة التهود على الأصوليين البروتستانتيين

الإصلاح المسيحي وبوادر الدولة اليهودية

فقد كان الأصوليون المسيحيون يؤمنون قبل تأسيس دولة إسرائيل" بضرورة عودة الشعب اليهودي إلى أرضه الموعودة في فلسطين، وإقامة كيان يهودي فيها يمهد للعودة الثانية للمسيح وتأسيسه مملكة الألف عام[16].وبعد لوثر حصل انشقاق داخل

---

[13] - - -warathah -alkharashy www.saaid.net

[14] - غريس هالسل - النبوءة والسياسة: الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية/ ترجمة/ محمد السماك ص 6 جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ط الأولى ليبيا 1990

[15] - ريجينا الشريف - الصهيونية غير اليهودية/ ترجمة أحمد عبد العزيز / عالم المعرفة . الكويت عدد (96) ص 26 بتصرف.

[16] - شبكة النبأ

الكنيسة البروتستانتية نفسها بسبب اليهود . فبينما أعرب بعض البروتستانت الإنجليز عن اعتقادهم بأن اليهود سيعتنقون المسيحية قبل أن تقوم دولتهم في فلسطين ، ذهب بعض البروتستانت الأميركيين إلى أن اليهود لن يدخلوا في المسيحية حتى لو قامت إسرائيل وأن عودة المسيح هي الشرط النهائي لخلاصهم وتوبتهم ودخولهم في الدين الذي جاء فيهم أصلا.

وقد تزعم القس نلسون داربي هذا الفريق وينظر إليه على أنه الأب الروحي للمسيحية الصهيونية قبل أن يعمل العشرات من القساوسة على نشر نظريته تلك. ونشر "وليم باكستون" الذي كان من أشد المتحمسين الأميركيين لأطروحة داربي كتاب "المسيح آت" سنة 1887 وترجم الكتاب إلى عشرات اللغات وركز فيه على حق اليهود التوراتي في فلسطين. وبلاكستون كان وراء جمع 413 توقيعا من شخصيات مرموقة مسيحية ويهودية طالبت بمنح فلسطين لليهود وتم تسليم عريضة التوقيعات للرئيس الأميركي آنذاك بنيامين هاريسون[17].

إن ما حققه اليهود من وراء البروتستانت لم يكن من أحلامهم المنظورة أصلا خصوصا في الظروف التي عاشوها فحتى وإن فكروا في إنشاء وطن قومي لهم ، فإن فلسطين لم تكن من أحلامهم المعقولة بسبب الظروف التي كانت سائدة آنذاك فتيودور هرتزل نفسه آمن وطرح فكرة الدولة اليهودية ولم تكن دوافعه دينية بالأساس، فهو قومي علماني، وأعلن استعداده لقبول استيطان اليهود في أوغندا أو العراق أو كندا أو حتى الأرجنتين، أما المسيحيون المتصهينون فقد آمنوا بأن فلسطين هي وطن اليهود ، واعتبروا ذلك شرطا لعودة المسيح ، لذا انتقدوا الموقف المتساهل من قبل تيودور هرتزل[18].

لقد نشأ في الولايات المتحدة ما يُعرف بالمسيحية الصهيونية كان لها أكثر من أربعين مليونا من الأتباع ، ووصل تأثيرها المباشر حتى إلى رؤساء أمريكا على غرار كل من كارتر الديموقراطي ، وريغان الجمهوري ، كما أن جورج بوش يعتبر من قبل الكثيريين أكثر الرؤساء تدينا خلال عقود مضت. ومنذ الوهلة الأولى لدى وقوع هجمات 11 سبتمبر/ أيلول أضفى بوش على ما يجري صفة النزاع الكوني والأبدي، الذي ينص عليه الإنجيل والتوراة ، بين المؤمنين والدجالين أتباع الشيطان. وقال عقب ساعات قليلة من وقوع الهجمات إن تلك الهجمات تمثل "انطلاقة الحرب الكونية ضد الشر"، وأضاف أن الولايات المتحدة مدعوة لكي تتحمل "مهمتها التاريخية" وأن "الرد على هذه الهجمات هو تخليص العالم من الشر". وشدد على أن النصر مؤكد في هذه الحرب لأن الله يقف إلى جانب قوى الخير التي تمثلها الولايات المتحدة. وردد حينها خلال خطاب بثته وسائل الإعلام المزمور التوراتي رقم 23 الذي يقول "تقدم إلى الأمام ودافع عن الحرية وعن كل ما هو خير وعادل في عالمنا".

---

[17] - www.aljazeera.net

[18] ـ شبكة النبأ

وخلال جميع التصريحات التي سبقت الحرب في أفغانستان واستمرت حتى بعدها وصولا إلى الحرب في العراق، واصل الرئيس بوش استخدام التعبيرات الدينية والاستشهاد بفقرات من الإنجيل في محاولة لتوضيح نظرته الخاصة لما يجري في العالم.

وفي أكثر من مرة قال النائب **توم ديلي** عندما كان يتولى منصب زعيم الأغلبية الجمهورية في مجلس النواب إنه يتعين دعم الحرب ضد العراق لأنها "البشير الذي يسبق عودة المسيح إلى الأرض ويفسح المجال لحدوثها".

كما أن الجنرال بويكن قائد العمليات السرية في الجيش الأميركي ذكر في العديد من التصريحات أن الحرب التي تشنها الولايات المتحدة ضد ما تصفه بالإرهاب هي صراع بين القيم المسيحية اليهودية والشيطان. وكان الجنرال بويكن يتولى مهمة القضاء على أسامة بن ولادن وصدام حسين وعُين فيما بعد نائبا لوزير الدفاع لشؤون الاستخبارات قال في يونيو/ حزيران 2003 في كلمة بإحدى الكنائس بأوريغان إن "المتطرفين الإسلاميين يكرهوننا لأننا أمة مسيحية، ولأن أساسنا وجذورنا تنبعث من القيم اليهودية المسيحية". وتابع يقول إن الحرب التي تخوضها الولايات المتحدة ضد الإرهاب "هي حرب ضد عدو اسمه الشيطان".

وقال إن الرئيس بوش "تولى منصب الرئاسة في البيت الأبيض لأن الله اختاره لتولي ذلك المنصب". وقال في كلمة بإحدى الكنائس عام 2002 وهو يرتدي الزي العسكري الأميركي "إننا جيش الله، في بيت الله، وقد أقيمت مملكة الله لمثل هذه الأوقات التي نعيشها"[19].

و لقد تأثرت المسيحية الصهيونية بثلاثة توجهات يجمع بينها خلفية التفسير الديني المعتمد على النصوص التوراتية ، ورغم تباين هذه التوجهات وتناقضها بعضها مع بعض أحيانا، فإن التفسير الحرفي للتوراة والإيمان بضرورة مساعدة إسرائيل جمع بينهم.

والحركات الثلاث هي:

1 – حركة تهتم بقضية نهاية العالم ومؤشراته

2 – حركة تهتم بقضية التقرب من اليهود من أجل المسيح

3 – حركة تركز على الدفاع عن إسرائيل وعلى مباركتها ودعمها بكل ما هو ممكن ومتاح .

وأهم ما يجمع بين المسيحية الصهيونية واليهودية اليوم يمكن تلخيصه في ثلاث نقاط أساسية:

1 – الثرات المسيحي اليهودي المشترك

2 – الأخلاق اليهودية المسيحية.

3 – الالتزام الأدبي والأخلاقي بدعم إسرائيل [20].

---

[19] ـ عادل الدقاقي(صحافي عربي مقيم في واشنطن) ـ المسوغات الدينية للسياسة الأميركية إزاء الشرق الأوسط -www.aljazeera.net

لقد كان هؤلاء المسيحيون الجدد يعتقدون أن هناك ثلاث إشارات يجب أن تسبق عودة المسيح:

الإشارة الأولى :هي قيام إسرائيل، وقد قامت إسرائيل في العام 1948م. ولذلك اعتبر الصهيونيون المسيحيون في الولايات المتحدة هذا الحدث أعظم حدث في التاريخ لأنه جاء مصدقاً للنبوءة الدينية.

الإشارة الثانية : هي احتلال مدينة القدس، ولقد احتلت إسرائيل القدس في العام 1967 التي ينظر الإنجيليون من الصهيونيين المسيحيين على أنها المدينة التي سيمارس المسيح حكم العالم منها بعد قدومه الثاني المنتظر. ولذلك تضغط الكنائس الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة من أجل الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل. ولقد تجاوب مجلسا الشيوخ والنواب مع هذه الضغوط في إبريل – نيسان 1990.

الإشارة الثالثة : هي إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى. ولقد وضعت خريطة الهيكل الجديد، فيما تتواصل الحفريات تحت المسجد بحجة البحث عن آثار يهودية مطمورة. وفي الوقت نفسه يتم إعداد وتدريب كهان الهيكل في معهد خاص بالقدس. أما الأموال اللازمة فقد جمع معظمها وأودع في حساب خاص باسم مشروع بناء الهيكل.

ويزعم هؤلاء أنه بعد اكتمال المشروع، ستقع "هرمجدون" التي يظهر المسيح فوقها مباشرة وسيرفع إليه بالجسد المؤمنين به ليحكم العالم من القدس مدة ألف عام تقوم بعدها القيامة[21].

موقف المسيحيين الكاثوليك من اليهود

تقدم كيف تغيرت علاقة البروتستانت المتأثرين بتعاليم وإصلاحات لوثر باليهود من العداوة إلى التحالف، والشعور من جانب البروتستانت بالمصير المشترك مع اليهود ، ورأينا من قبل بأن علاقة الكنيسة والكاثوليك باليهود لم يمسها أي تغيير ، فقد ظل الكاثوليك يلعنون اليهود ويحملونهم ما وقع للمسيح حتى وفاة البابا يوحنا الثالث والعشرين سنة 1965، حيث حدث أثناء انعقاد المجمع المسكوني في الفاتيكان أن تقدم الكاردينال بيا الألماني اليهودي الأصل بوثيقة يطلب فيها تبرئة اليهود من دم المسيح ، فيهود هذا الزمان ليسوا مسؤولين عن يهود ذلك الزمان، ولذلك لا مبرر لأن يلعنهم الكاثوليك في صلواتهم ، وصدر القرار بغسل أيدي اليهود من دم المسيح ، وسبقت ذلك محاولة في أمريكا[22] .

ولقد قام اليهود بمجهودات جبارة في السينما والإعلام والهيئات والجمعيات من أجل تغيير نظرة المسيحيين إليهم وخاصة الكاثوليك ، وقد استطاعوا على الأقل أن يعزلوا الكاثوليك عن الحروب التي يشنونها مع البروتستانت ضد الشعوب التي تقف

---

[20] - شبكة النبأ

[21] - warathah -alkharashy www.saaid.net

[22] - أنيس منصور – حول العالم في 200 يوم – دار الشروق – الطبعة الخامسة والعشرون 2000 ص 16- 17

أمام أطماعهم وأهدافهم في إحياء مجد إسرائيل . وهي نتيجة لا يُستهان بها ، بل إن الكفة الكاثوليكية تسير على خطى البروتستانت في التحالف مع اليهود ضد الأخطار المشتركة ، وأصبحت النصوص المقدسة التي تدين اليهود في الإنجيل محلا للتأويل ، ولقد التقيت نهاية سنة 2008 في القاهرة بشاب مصري قبطي أخبرني أنه قدم في ذلك اليوم من إسرائيل ، وفي نقاشنا حول موضوع صلب المسيح ، أنكرتُ أن يكون قد صُلب اعتمادا على ما ورد في القرآن منبها أن المصلوب شخص آخر ، وتعجبت في البداية عندما كان يقول بأن المسيح لم يُصلب ، والصلب هو أحد جواهر المسيحية بمختلف فرقها ، ولكن عجبي زال عندما قال محدثي بأن ما ورد عن الصلب إنما كان معنويا لا ماديا حقيقيا ، وهذا من التأويلات التي بدأ يتلمسها المسيحيون للتوفيق بين النصوص المُدينة لليهود من جهة وتبرئة اليهود من جهة أخرى .

ولقد أدى التعاون البروتستانتي الكاثوليكي إلى قيام الدولة اليهودية في فلسطين ، ولم يتم ذلك إلا بعد القضاء على الخلافة العثمانية التي كانت العقبة الكؤود أمام اليهود في إقامة دولتهم ، ولما عُرض على السلطان عبد الحميد أن يبيع فلسطين قال بملء فيه : لو أعطيتموني وزنها ذهبا ما تنازلت عن شبر منها ، ووجدت بريطانيا وفرنسا الفرصة سانحة أيام حصار اسطنبول ، وهيئتا الظروف ليبرز كمال أتاتورك كبطل قومي للأتراك ، حيث تظاهرت قواتهما بالهزيمة أمامه ، وبسرعة البرق لمع نجمه ، وترقى بسرعة فائقة ، وتمكن من إلغاء الخلافة ، والتخلي عن سائر البلاد الإسلامية التابعة لها بما في ذلك فلسطين التي تمكن اليهود بمساعدة الإنجليز والفرنسيين من السيطرة عليها بمختلف الطرق والوسائل .

ولم يكن أتاتورك إلا ابنا لراقصة يهودية من يهود الدونمة الذين كانت إقامتهم باليونان ، وما حدث فلا يدل إلا على التعاون والتكامل الذي كان ولا يزال بين المسيحيين الغربيين واليهود ، والهدف كما هو ظاهر ومصرح به عقائدي بالدرجة الأولى ، فالمسيحيون هدفهم تأمين القدس لنزول المسيح كما يعتقدون ، وهم مستعدون للتضحيات الجسام من أجل أمن إسرائيل، ولم يكن ذلك الأمن مرتبطا بأمنهم لبعد المسافة ، ولا مرتبطا بالمصالح الاقتصادية والإستراتيجية ، فلا يوجد في فلسطين، ولا عند اليهود فيها ما يغريهم بذلك، وأما اليهود الذين لا يزالون على إيمانهم الراسخ بكفر المسيحيين ودونيتهم فقد وجدوا في الدعم الغربي فرصة لإقامة مجد إسرائيل ، ولا يُتوقع أن يتوقف الدعم الغربي لليهود في المستقبل، وكل من يعتقد برجوع القدس إلى المسلمين عن طريق الحلول السلمية فهو غر بليد.

قائمة المراجـــع

[1] - جوش ماكدويل – نجار وأعظم – ترجمة سمير الشوملي – دار فيدا
[2] - عبد الله التل – خطر اليهودية العالمية على اليهود والمسيحية – بغير ذكر الدار 1964
[3] - . - أنيس منصور – حول العالم في 200 يوم – دار الشروق – الطبعة الخامسة والعشرون 2000
[4] - عابد توفيق الهاشمي ـ فضيحة التلمود ـ مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 2000
[5] - زهدي الفاتح – اليهود – الطبعة الأولى ، جنيف 1972.
[6] - روهلنج ـ إسّيل لوران - الكنز المرصود في قواعد التلمود.
[7] - ريجينا الشريف - الصهيونية غير اليهودية/ ترجمة أحمد عبد العزيز / عالم المعرفة. الكويت عدد (96)

[8] - ابن قيم الجوزية – هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى – منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت 1980 -
[9] - محمد عبده – الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1988
[10] - غريس هالسل - النبوءة والسياسة: الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية/ ترجمة/ محمد السماك - جمعية الدعوة
[11]- www . alhawali . com
[12] - www.aljazeera.net
[13] - - -warathah -alkharashy www.saaid.net
[14] - الإسلامية العالمية ط الأولى ليبيا 1990
[15] -. الموسوعة الحرة ويكيبيديا
[16] - شبكة النبأ